

خواطر حول الموت

للدكتور حامد طاهر

الحياة مليئة بفرص كثيرة
أما الموت ..
فليس لنا معه سوى فرصة واحدة.
ونحن في العادة ننفر من الموت
لأنه يسلبنا الحياة التي نتمسك بها
ونحرض، رغم قساوتها، علينا
كما أنها تشغلينا بأحداثها المتلاحقة
التي تمنحنا بعض الأمل ،
وتراود أحلامنا بالسعادة ..

الموت ذوجان :
قد يأتي فجأة
وأحياناً خلال النوم ،
وقد يكون بطريقنا ، وبالتدريج
وذلك عندما تسبقه الأمراض
وتتوقف بعض أجهزة الجسم عن العمل
ويبدأ الإنسان رحلة العلاج
مع المأطباء ، وفي المستشفيات
ظنا منه أنهم سيعيدونه ل كامل صحته
ولكن هيئات !
فالمرض هو المقدمة التمهيدية للموت

بعض الناس يتحسّب جيداً لقادم الموت
فيسرع بشراء مدفن
وقد يضع في دولابه كفنا
وهناك من يوزع ثروته على من يحب
أو يتبرع بجزء منها للأعمال الخيرية
ولا شك أن هذا قد يريحه

لكتنه لا يخلو من عتاب من حوله
وأحياناً غضبهم !

وكما يكون الموت في بعض الأحيان هادئاً
فيئنه أيضاً قد يكون عنيفاً وساخناً
مثلاً يقع في حادث سيارة
أو احتراق طائرة
أو غرق سفينة
وهننا من يسأل :
كيف يكون بالنسبة لهؤلاء حساب المقبرة ؟
أو أسئلة منكر ونكير ؟

ومن أسوأ أنواع الموت
ذلك الذي ينتظره
المحكوم عليه بالإعدام
 فهو يكاد يموت في كل يوم
إذا استلقى للنوم
ووجده ماشلاً في ظلمة المكان . . .
وقد تطورت أشكال الإعدام وتنوعت
من الإحرق بالنار
إلى قطع الرقبة بالسيف
أو بالمقصلة
إلى الشنق بالحبيل
أو الاختناق في حجرة الغاز
والصعق بالكرسي الكهربائي
وأحياناً الترمي بالرصاص

لقد تحدث المفاسفة كثيراً عن مشكلات الحياة
لكنهم لم يتتحدثوا إلّا قليلاً .. عن مشكلة الموت
ويهذا غير عادل
لأن الحياة والموت حقائق متقابلتان
بل إنهم طرفاً لخيط واحد
هو عمر الإنسان
الذى يبدأ بالحياة وينتهي بالموت

وقد تعود الناس جمِيعاً
أن يشعروا بالحزن الشديد
حين ينتزع الموت من أحبابهم
أحد أحبابهم
ويهذا ما يجعلهم ينفرون من الموت
ويخافونه
لكنهم يكادون يتوجهون
أن الموت الذى فجعهم بهذه القسوة
كان من الممكن جداً
أن ينزعهم هم .. من وسط أحبابهم
وأنه مهمًا غائب عنهم ، أو تأخر

فإنه لا محالة آت إليهم

إن الناس عموماً تستثقل حديث الموت
بل وتشاعم منه
لكن الكثير منهم لا يعلم
أن الله تعالى ذكر بكل وضوح
أنه هو (الذى خلق الموت والحياة)
لماذا ؟

لكل ينتحل صاحب العمل الأحسن
وإذن.. فإن الأمر جد لاعب فيه
وهو يتطلب المكثير من العمل والجهد والاستعداد

كيف يتعامل معظم الناس مع الموت ؟
حين يذهبون إلى المقابر
لدفع راحل منهم
يقفون أمام الجثمان صامتين خاشعين
وقد يبكي بعضهم من شدة المتأثر
لكنهم في طريق العودة
يخوضون في أحاديث شتى
عن إرهاق الميلاد ، وأعمال المخد
..
وما أسرع ما ينسون صاحبهم المراحل
ثم ما يلبثون أن يمارسوا حياتهم المعتاد
وكأن شيئا لم يكن

أقدم ملاحم المشرق الأوسيط
وهي ملحمة جلجماش البابلية
تتحدث عن بطل خارق
كان يمتلك كل شاء
السلطان ، والثروة ،
والقوة البدنية المفترطة
وحين غياب الموت أعز أصدقائه
خرج في رحلة طويلة جداً، وشاقة
بحثاً عن نبتة الخلود
التي تحفظ عليه حياته
وتتصونه من الموت
وبعد أن حصل عليها
سرقتها منه حيةً ماكراً
فعاد إلى مدینته خائب المرجاء
وقد أدرك أخيراً
أنه كإنسان.. لا بد أن يموت
مثـل سائر البشر

أاما أمير الشعراء أحمد شوقي
فقد ظل طوال حياته مشغولاً بسؤال
ـ ماذا يحصل للإنسان بعد وفاته؟
ـ وهي معظم قصائد المرثاء لديه

كان يستصرخ الم توفى قائلنا :
— قل لى بالله عليك : ماذا وجدت ؟
لكن شوقي لم يدرك جيدا
أن المجدار المقام بين الحياة والمموت
يستحيل اختراقه من أى إنسان حتى
وهذا معناه أن الموت تجربة شخصية
شخصية جدا
لا يعرفها إلما من دخل فيها !